المحاضرة الرابعة: النظريات المفسرة لنشأة الحركات الاجتماعية

هناك العديد من النظريات التي حاولت تفسير الحركات الاجتماعية أهمها:

1-<u>نظرية السلوك الإجتماعي</u> :ظهرت هذه النظرية في الأربعينيات و الخمسينيات من القرن العشرين، وقد ربطت هذه النظرية مفهوم الحركات الإجتماعية بحدوث أنشطة مثل: الهبات الجماهيرية، المظاهرات، و أشكال من الهستيريا الجماعية، أي بردود أفعال- ليست بالضرورة منطقية تماما- في مواجهة ظروف غير طبيعية مثل التوتر الهيكلي بين المؤسسات الاجتماعية الأساسية. و يرى أصحاب هذه النظرية أن الحركات الإجتماعية، بهذا المعنى قد تصبح خطيرة مثل الحركات الفاشية في ألمانيا و ايطاليا و اليابان. كما تعتبر مقاربة "السلوك الاجتماعي" إن الحركات الاجتماعية انعكاس لمجتمع مريض، حيث لا تحتاج المجتمعات الصحية الى حركات اجتماعية، بل تتضمن أشكال من المشاركة السياسية و الاجتماعية، و كما هو واضح فان هذه المقاربة ترى ان الحركات الاجتماعية تنشأ في المجتمعات المريضة فقط، وهو أمر يحتاج إلى قدر كبير من المراجعة خاصة إذا نزلنا به إلى الواقع و طبقنا عليه ما ذهب إليه هؤلاء حيث نجد أن أكثر الحركات الاجتماعية نشاطية موجودة في دول غربية.

2-<u>نظرية تعبئة الموارد</u> :نشأت هذه النظرية ابتداء من الستينات من القرن العشرين، و ترى هذه النظرية أن تشكل الحركات الاجتماعية و طرق عملها يستند لتوافر الموارد ،خاصة الموارد الإقتصادية و السياسية و الإتصالية المتاحة للمجموعة، و القدرة على استخدام و استعمال تلك الموارد .والحركات الاجتماعية حسب منظري هذه المقاربة عبارة عن استجابات منطقية لمواقف و إمكانيات طرأت حديثا في المجتمع، و بالتالي لا ينظر إليها على أنها مظاهر لخلل اجتماعي، بل جزء من العملية السياسية .

و تهتم هذه المقاربة بالتأثير المباشر للحركات -القابل للقياس- على القضايا السياسية ،بينما لا تعير اهتماما كبيرا لأبعاد هذه الحركات على المستوى الفكري و مستوى رفع الوعي و بلورة الهوية.

3-<u>نظرية الحركة الاجتماعية الجديدة</u> :

نشأت هذه النظرية خلال الستينات و السبعينات من القرن العشرين لتبرير مجموعة من الحركات الجديدة التي ظهرت في أوربا. و تنظر تفسيرات هذه النظرية الى الحركات الإجتماعية باعتبارها انعكاس للتناقضات الكامنة في المجتمع الحديث نتيجة للبيروقراطية المفرطة، و كحل لها ،كما يرى اصحاب هذه النظرية، أن الحركات الاجتماعية الجديدة- اختلافا مع الحركات الاجتماعية القديمة -ناتجة عن بروز تناقضات اجتماعية جديدة متجسدة في التناقض بين الفرد و الدولة، و هو ما يجعل هذه المقاربة تنتقل من المصالح الطبقية إلى المصالح غير الطبقية المتعلقة بالمصالح الإنسانية الكونية.

ويقال ان هذه الحركات الاجتماعية الجديدة تهتم أكثر بتطوير الهوية الجماعية عن طريق اهتمامها بالإيديولوجيات القائمة كما تميل إلى البروز من صفوف الطبقة المتوسطة بدلا من الطبقة العاملة.

4-نموذج الفعل-الهوية:

وهي النظرية التي ترى أن الحركات الإجتماعية تحول دون الركود الإجتماعي، و هي تقوم ضد الأشكال المؤسسية القائمة و المعايير المعرفية المرتبطة بها، أي أنها تقوم ضد المجموعات المهيمنة على عمليات إعادة الإنتاج الإجتماعي و الإقتصادي و تشكيل المعايير الإجتماعية. و يرى بعض المروجين لهذه النظرية، أن هناك إحلالا تدريجيا يتم فيه استبدال الشكل القديم للرأسمالية الصناعية بمجتمع مرحلة ما بعد التصنيع القائم على البرمجة والمعلومات، الذي يتميز بأنماط مختلفة تماما من العلاقات و الصراعات الطبقية. ففي المجتمع المبرمج يشكل التكنوقراط الطبقة المهيمنة ،بينما ينتهي دور الطبقة العاملة كمناضل أساسي ضد الأوضاع القائمة و بالتالي يرون أن الصراع الطبقي، أساسا، ذو طبيعة اجتماعية ثقافية ، و ليس ذو طبيعة اجتماعية اقتصادية.

5-نظرية "غوستاف لوبون:"

غوستاف لوبون "1841-1931"

يشكل كتاب "غوستاف لوبون"بعنوان "سيكولوجيا الجماهير "الذي نشر عام 1895 أول دراسة سوسيولوجية للظواهر الإجتماعية، وقد جاء بعد انتشار ما كتبه بعض رجال القانون في أوربا. إنه لا يتصور الجماهير بالضرورة جانية (مجرمة)، بل بالأحرى يصفها في هذا المؤلف بغير المتجانسة،يشكلها أفراد عاديون ،ليس لمستوى ثقاهمهم أية أهمية .يهدف هذا الى تبيان أن لا دخل للذكاء، و بالتالي لتفكير الأفراد المكونين للجماهير، بصفتهما خاصيتين اساسيتن في العمليات الجماعية، لتبقى الأهمية للعواطف اللاواعية، يقول "غوستاف لوبون" في هذا المعنى:« يتوقف كل شيء على طبيعة الحافز، و لا يتوقف ،كما هو الحال عند الفرد المنعزل، على العلاقات الموجودة بين الفعل الموحي وكمية التفكير التي يمكن بها مواجهة تحقيقه «.

يعتبر "غوستاف لوبون" من أكبر مفكري القرن 19م أرسطوقراطي في فكره، و هو ما ظهر جليا في مجمل أفكاره و نظرياته الإجتماعية، فكان من دعاة المحافظة على النظام الأرسطوقراطي القائم الذي طاله التغيير الإجتماعي. وتقوم نظريته عن السلوك الاجتماعي بأن الفقراء سوف يهرعون إلى الشوارع ليظهروا رغباتهم و تطلعاتهم الشخصية أمام الملأ، و طالما بقيت هوية الأفراد في السلوك الإجتماعي غير معروفة، كانت أفعالهم غريبة و شيطانية ووحشية أحيانا، لأن دوافع العقل الباطني هي التي تحكم الفرد المتحرك مع عواطف الجمهور .ولما كانت العواطف الفردية تنتشر بشكل عدواني بين الأفراد ،أصبحت المؤثرات الخارجية من أهم عوامل السيطرة عل السلوك الجمعي و توجيهه الوجهة التي يبتغيها قادة ذلك التجمع.

و قد تعرضت نظريته إلى نقد شديد من طرف أغلب مفكري علم الاجتماع لأنها تعاملت بشكل عنصري متميز مع الفقراء ووصمتهم بالرعاع، واتهمت كل أنواع السلوك الجمعي بالشر و الغوغائية و الشيطانية.

6-<u>النظريات النفسية</u> : تستند هذه النظريات في تحليلها لنشأة الحركات الاجتماعية إلى رأيين متباينين يمكن إدراجهما ضمن قسمين من النظريات:

- **<u>نظريات السخط الإجتماعي</u>:** و هي النظريات التي تعزي نشوء الحركات الإجتماعية إلى السخط و الإستياء العام بين أفراد المجتمع. فالأفراد الذين يعيشون رخاء ونعيما ماديا لا ينتمون إلى الحركات الإجتماعية على الأغلب ،لأنهم ليسوا بحاجة إلى خدماتها السياسية أو الإجتماعية، أما المحرومون من الثروات الإجتماعية ،الذين يشعرون بأنهم ضحايا التمييز و انعدام العدالة الاجتماعية، فإنهم أكثر قابلية على تقبل دعوات "الحركات الإجتماعية" و الإنضمام إليها، و لكن تحليل هذه النظريات لا يكفي لتفسير نشوء هذه الحركات، لأن هناك الكثير من الشعوب التي تنوء تحت وطاة الفقر و عدم المساواة و الفساد الإداري، إلا أنها لا تشكل حركات إجتماعية بسبب سخطها على الوضع الإجتماعي.

- **<u>نظريات سوء التوافق و عدم الانسجام الشخصي</u>:** و هي النظريات التي ترى أن الحركات الإجتماعية ما هي إلا ملجأ لفشل الأفراد في تحقيق طموحاتهم .فالأفراد المنضوون تحت راية "الحركات الإجتماعية، هم من نمط أصحاب العقد النفسية الذين يفتقدون لمعنى وهدف شامل في حياتهم الإجتماعية و الإقتصادية، و كذلك الأقليات و كل الذين يفتقدون الى حظ في التوفيق الإجتماعي.

إلا أن النقد الموجه إلى هذه النظرية، هو أنه من الصعب قياس شخصية الفرد على أساس العقد النفسية التي يحملها، وعموما يمكن القول أن النظريات النفسية التي جاء بها مفكروا القرن التاسع عشر الميلادي في أوربا، ركزت فقط على طبيعة الخصائص النفسية السيكولوجية الخاصة بتصرفات الحركات الاجتماعية و الأفراد المنضوين تحت لوائها، ولم تعط للدوافع الاجتماعية والحرمان الإقتصادي والتوجه الديني أية أهمية في تفسير نشوء هذه الحركات. بالإضافة الى أن هذه النظريات تفتقر إلى وضوح في الرؤية الإجتماعية لدور هذه الحركات في التفاعل الإجتماعي و طبيعة المشاكل التي يعاني منها المجتمع.

7-<u>نظريات الضغوط الإجتماعية</u> : تفسر هذه النظريات نشأة الحركات الإجتماعية على أساس شعور الأفراد و الجماعات بالحرمات من الحقوق و الثروة الإجتماعية .بمعنى ممارسة الضغوط الاجتماعية و الاقتصادية على الأفراد و الذي يولد إحساسا مشتركا يمهد لظهور الحركات الإجتماعية. لكن هذه النظريات لم تقدم شيئا جديدا حول نشوء الحركات الإجتماعية، فهي لم تفسر لنا أسباب عدم ظهور الحركات الإجتماعية في المجتمعات الديكتاتورية مثلا ،مع العلم أن الحكم الديكتاتوري يسلط ضغوطا إجتماعية عظيمة على الأفراد. بل أن أغلب المجتمعات الإنسانية فيها نوع من الحرمان الاجتماعي ولكننا لانرى ظهور الحركات الاجتماعية التي تنادي بالتغيير، فالزنوج في جنوب افريقيا، وفي أوربا، وفي أمريكا الشمالية، رضخوا تحت نير ظلم الرجل الأبيض لأكثر من مائة عام قبل أن تظهر حركاتهم الإجتماعية المطالبة بالمساواة.و الأغلبية من جماهير العالم الثالث ترضخ تحت نير الظلم والإستعباد دون أن تكترث لسماع صوت القلة من الأحرار ،بل إن الحركات الإجتماعية الأوروبية الداعية الى الإقرار بحقوق المرأة ظهرت بشكل فاجأ أغلب النساء في المجتمعات الأوروبية نفسها ،في بدايات النصف الثاني من القرن العشرين .

-نظرية الحركات الإجتماعية الجديدة:

ظهرت الحركات الاجتماعية الجديدة في أوربا لتبرير شرعية وجود تغييرات و تناقضات عميقة في المجمتع ،وتعتبر محطة 1968 فرصة لإعادة النظر في العديد من المنطلقات الإيديولوجية التي كانت في المجتمع الرأسمالي وارتبط هذا المصطلح ب" آلان توران" الذي انتج لفظه "حركات إجتماعية جديدة" في فرنسا، و "البرتو ملوسي" بايطاليا، و"كريسي" بسويسرا، و"كلونديرمان" و "تار ريشمن" و "فيرناندیز بوی" بأسبانيا....، وهي بمثابة التتويج التاريخي النظري لمفهوم "الحركة الاجتماعية" في اعتبار وجودها انعكاس طبيعي لتناقضات المجتمعات الحديثة وصراع الطبقات الرأسمالية المتوحشة أو البيروقراطية الناشئة عن الهيمنة الطبقية، بالإضافة الى الانتقال التاريخي لتحرير الانسان في كونيته. حيث أفضت مراجعات الماركسية التقليدية الى تقديم إجابات لمجتمع مرحلة مابعد التصنيع القائم على المعلومات و البرمجة، والذي يتميز بأنماط مختلفة تماما من العلاقات و الصراعات الطبقية المهيمنة، بينما ينتهي دور الطبقة العاملة كفاعل أساسي في تغيير الأوضاع القائمة، وبالتالي يرون أن الصراع الطبقي، أساسا، هو ذو طبيعة اجتماعية ثقافية..

و ترتبط هذه النظرية بأعمال "آلان توران الذي يرجع له الفضل في إنتاج هذا المصطلح وانتشار لفظة "حركات اجتماعية جديدة"، كما ترتبط هذه النظرية أيضا بأعمال "البرتو ملوسي". حسب هذين الكاتبين ،فإنه يرتبط بروز حركات إجتماعية جديدة بتغيرات عميقة يمكن ملاحظتها في المجتمع، فإذا كانت الحركات الإجتماعية التقليدية تراقب الموارد المنتجة في المجتمعات الصناعية، فإن الحركات الاجتماعية الجديدة في المجتمعات المتقدمة أو البعد صناعية تراقب دائرة الخدمات و الإستهلاك و الروابط الإجتماعية، وتبعا لهذه التغيرات التي تحدث في البنية الإجتماعية فإن "الحركات الإجتماعية الجديدة" التي لم تظهر ،لم تعد تناضل من أجل استرجاع الهيكل المادي للإنتاج ،كما قد تفعله الحركة القديمة، ونعني بها الحركة العالمية، بل تناضل من أجل إعادة امتلاك الزمن و الفضاء و الروابط ضمن الوجود اليومي الفردي. تتسبب الأفعال الضرورية، من أجل مراقبة النزاعات الهيكلية ،التي لابد منها، من أجل توازن المجتمع، في تناقضات مع عناصر أخرى من النظام عندما تصبح التغيرات الناجمة معاكسة لها. إذا اعتبرت الحركات الاجتماعية تعبيرا عن نزاع طبقي في مجتمع سياسي ملموس أو في تنظيم إجتماعي، إلا أن الكاتبين لا يلجآن من أجل هذا الى تصور حتمي. يعرض "آلان توران" إطارا مفهوماتيا لتحليل الحركات الاجتماعية، ويعارض بالضبط الماركسية التي تضم تصورا للحركات الاجتماعية بصفتها مظهرا للتناقضات الموضوعية لنظام هيمنة، ويعرفها بالأحرى ،على أنها سلوكات تصادمية إجتماعيا موجهة ثقافيا .

***أنماط الحركات الإجتماعية** : ظهرت الحركات الإجتماعية على مدى العقود الماضية، بأشكال وأنواع مختلفة و متباينة من الإهتمامات والأهداف و الطرق و الأساليب التي تستخدمها، وقد برزت حركات كثيرة، منها حركات تدعو الى حماية البيئة، والقضاء على الألغام، وحقوق المرأة، وحقوق الطفل، ومكافحة الفقر، والأصولية و الإصلاح الديني، ومعارضة عقوبة الإعدام، وتعزيز حقوق الحيوان، والتشريع، ومعارضة الإجهاض، و حماية الأقليات، ومحاربة التمييز القائم على الميول الجنسية، وغير ذلك.....

في علم الإجتماع نجد البعض ميز بين نوعين من الحركات الإجتماعية هما: الحركات التي تسعى إلى تغيير القواعد و الأحكام المعمول بها ، والحركات التي تهدف إلى تغيير القيم وتجديد الأخلاق.

و هنا يلاحظ كل من "ريمون بودن" و "بوريكو" و يتحفظان على هذا التمييز، فالمواجهة بين مفهوم نفعي وآخر مثالي للحركة الإجتماعية–في رأيهما– هي مواجهة خادعة، إذ أن المشاركون في حركة إجتماعية واحدة قد تحركهم دوافع مثالية و أخرى نفعية في نفس الوقت، بالإضافة إلى أن الحركات الموجهة نحو القيم لا تشكل كلاً متجانسا.

و يطرح الفكر الماركسي في عمومه خمسة أنواع من الحركات الإجتماعية وهي: العماالية، الطلابية، الفلاحية، والنسائية، والثقافية، ويستند هذا التمييز إلى أن الفئات الإجتماعية الداخلة فيه هي التي تشكل القوى الرئيسة المكونة لأغلبية الشعوب والمجتمعات المعاصرة، وهي في الوقت ذاته، القوى الرئيسة للإنتاج ،كما أنها أكثر القوى الإجتماعية تخلفا فيما يتعلق بظروف عملها وأحوال معيشتها.

كما أنه من الطبيعي، عند السعي للوقوف على تصنيف مميز للتحرك الإجتماعي الجماعي، أن نجد من الأهمية أيضا، التعرف على أن الحركات الإجتماعية تتداخل من وقت لآخر، لأسباب إستراتيجية. وفي المقابل يمكن للحركات الإجتماعية أن تشكل علاقات أكثر مؤسسة، تتداخل فيها الوظائف، وتتلاشى فيها الحدود الفاصلة. وبعض الحركات الإجتماعية أيضا يمكن أن تتمثل في تحالفات و شبكات، ويمكن أن تشكل أنواعا أخرى من التحالف، ويمكن أن تتألف في الحقيقة من منظمات مجتمعية محلية و منظمات غير حكومية.